

كلمة التحرير: الأمل.... وما يمكن في الأرض

من حماقة أن يسيطر اليأس على الإنسان. وفي اعتقادي أن اليأس نفسه خطيئة. ولست واثقا من أنني أفكر في اليأس أو أؤمن به. هناك في الحياة أفراد يعيشون للتفكير في اليأس. دعوهم هم يفكرون فيه. أرنست هيمنجواي (ت. 1961)

من القول النافل التذكير أن الثقافة فعل مقاومة في لحظات المواجهة أو التأزم الحضاري، وفي المنعطفات الكبرى من تاريخ الأمم، إذ تشكل، نعني الثقافة، السارية الأخيرة التي يستند إليها المقاتل لاسترداد أنفاسه واستئناف جهاده، أو هي المتراس الذي يلوذ به الفرد لمواجهة اليأس وخواء النفس، وخور العزيمة. ويحق لنا أن نعدّ صدور العدد الحادي عشر من مجلة نقد وتنوير ضربا من المقاومة والجهاد المتصل لنفي اليأس، ومقارعة نوازع الضعف في هذا السياق التاريخي والحضاري العربي المطبوع بجميع صنوف التأزم والانسداد، الموسوم بجميع صنوف اليأس والإحباط. ذلك أننا على ما يشبه اليقين أن تنوير العقول، وبث الوعي والحماس والمداومة على إذكاء جذوة الأمل جديران بتحقيق المعجزات، مهما عظمت التحديات. فالإنسان في كينونته طاقة جبارة وأوسع لا تحدّ، وقد لا يكون العلم الحديث قد ظفر إلا بالقليل من معرفة أسرار هذا الكائن-السيد في هذا الكون.

ومن هذا المنطلق، أمنا، في مجلة نقد وتنوير، بضرورة مراكمة المعرفة، من موقعنا، وشحن الهمم، وتحريك السواكن، واستفزاز العقول والهمم. وسيلتنا في ذلك فصح المجال للجهر بأكثر الأسئلة إحراجا، وأنفذها في استثارة الأفكار، وبثّ الحيرة المخصبة والتوتر الخلاق، والفضول المعرفي، والمغامرة في طلب المعنى ومعقوليّة معيشنا المادّي والرمزي. فكان هذا العدد مضمارا لكّد الدّهن، وفضاء واسعا لطرح ثمار عقول باحثة في شتى حقول المعرفة الإنسانيّة والاجتماعيّة والفنيّة.

فحضرت مثلا قضايا المرأة منظورا إليها في السياق العصري من جهة حقوقها ضمن القيم الكونيّة، وعلاقة ذلك بالخصوصيّة الثقافيّة، ونظر إلى قواعد النساء في الخطاب الفقهي وطابعه الإيديولوجي. ورصدت إحدى الدراسات حضور المرأة وأسئلتها الوجودية من منظور أدبي وجمالي. وكان ذلك كلّه مناسبة لتقليب النظر في منزلة المرأة وإشكالياتها وفق مقاربات متعدّدة، وضمن مجالات مختلفة، بل متباعدة أحيانا. وكان للقضايا الفلسفية المحرّضة على التّسأل نصيب وافر. إذ تمّ بسط القول في ما به تسمو الروح، ويرتقي

الدّوق شأنَ البحث في "اللذة الفنية في الفن المعاصر"، و"الموسيقى والعلم والتكنولوجيا"، وما يثيره ذلك كلّ من أسئلة وإشكاليات. مثلما تمّ طرق مفهوم الزمن من وجهة نظر أنطولوجيّة، ومفهوم الدّولة من زاوية فلسفيّة (هوبز)، وقريب منه إشكاليّة التّوافق في السّياسة بين الإمكان والامتناع... وانصرف أحد الباحثين إلى النظر في علاقة الحاضر بالماضي من خلال رصد قراءة محسن مهدي لأبي نصر الفارابي. في حين اختار آخر أن يدرس مسألة تصنيف العلوم عند الإغريق، لما لهذه المسألة من أبعاد فلسفيّة وإبستمولوجيّة من شأنها الكشف عن العقل وآليات اشتغاله الخ...

واقترحت بعض المساهمات قضايا التنمية والتّحديث، شأن مسارات التنمية بالمغرب، وتأثير التحديث في دولة قطر على المفاهيم المعيارية الاجتماعية.

ولم تكن القضايا التربويّة أقلّ حضوراً. وقد توزعت المباحث بين مرحلتي الإعدادي والثانوي من جهة والتعليم العالي من جهة أخرى. أمّا المرحلة الأولى، فخصّصت بمقال يبحث في الأدوار المتجددة للأنشطة المدرسية اللاصقيّة، وأمّا الثانية فببحث نظر صاحبه في ظاهرة عزوف خريجي الدكتوراه عن إعداد البحوث، وبآخر ذي طابع ميداني مداره على ثقافة التّسامح لدى الشباب الجامعي...

وازدان هذا العدد ببعض المقالات الأدبيّة النقديّة وبأخرى ذات منحنى لسانی. وطُرحت عديد القضايا والمقاربات المنهجية، شأن المصطلح الاتّصالي ومفعول المقام في صناعة الخطاب من خلال مدوّنات تراثية، وإشكالية التجاوب في فعل القراءة، وأفق المعنى في النّص بين فعلي التلقّي والتأويل الخ...

وخلاصة القول، إنّ تاريخ المعارف والعلوم في مجمله ذو طابع تراكمي، مهما تكن من درجة معقوليّة النظريّات القائلة بالطبيعة في تطوره. والرأي عندنا أنّ التراكم يبتلع القطائع نفسها، لتصبح جزءاً من نهر المعرفة المتدفّق. فالطبيعة تخلف الطبيعة، فيؤلّفان معاً سمة التراكم والاستمراريّة. وهو ما يبرّر لدينا الإصرار على الفعل الثّقافي التوعويّ (وكلّ فعل في الواقع)، مهما تكن خيبات الواقع، وكثرة الأشواك التي يطرحها هذا الواقع في طريق البحث الرّصين. وهذا هو العمل الصّالح الذي يمكث في الأرض وينفع النّاس.